

عُمر مَرعي



برقيات
من الشرق إلى الغرب

شعر

برقيّات
من الشرق إلى الغرب

عُمَرُ مَرْعِي

برقيّات
من الشرق إلى الغرب
شعر

الإهداء إلى ابنتي نهلة

لَمْ تَقُمْ حَرْبُ ضَرُوسٍ، أَبَدًا، إِلَّا لِمَالٍ
إِنَّ كُلَّ الشَّرِّ وَالْأَحْقَادِ فِي مُلْكِ الْغِلَالِ
لَا يَقُومُ الْحُبُّ، بَيْنَ النَّاسِ، إِلَّا بِنَوَالٍ
إِنَّ ثَوْبَ الْعُرْسِ أَحْلَى مِنْ عُرُوسٍ وَخِصَالٍ
وَهُوَ أَغْلَى مِنْ عُلُومٍ وَفُنُونٍ وَجَمَالٍ
أَيُّهَا التَّاجِرُ: مَا جُمِعَ مَالٌ مِنْ حَلَالٍ .

مِنْ أَيْنَ ، وَمَتَى ؟

يُولُولُ آلَانِبْهَارُ فِي وَدْيَانِ ذَاتِي
تَتَرَاكُمُ ، فِي وَجْهِي ، عُصَارَةُ اللَّيْلِ الْمُخْتَبِقِ
تَسْتَنْجِدُ أَعْصَابِي بِالْمُتَّكَاتِ لِكَيْ تَنْهَضَ
يَا زَمَانًا لَسْتُ أَدْرِي مَتَى بَدَأْتَ بِرَاعِمِهِ تَتَمَلَّمُ ؟ وَمِنْ
أَيْنَ ؟

يُسْقِينِي أَنِّي لَا أَعْلَمُ تَارِيخَ وَلَادَةِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ
يَا سَيِّدَةَ النَّحْتِ ، أَيُّهَا الْعَنَاصِرُ ، مِنْ أَيْنَ جِئْتِ
بِالْإِزْمِيلِ

وَبِالْيَدِ السَّاحِرَةِ الَّلَامْعُوقِلَةُ
يَا سَيِّدَةَ الرَّسْمِ ، مِنْ أَيْنَ لَكَ بِالرِّيشَةِ ، وَبِالْأُلْوَانِ
الَّتِي لَا تَنْضُبُ
إِنَّ فِي كُلِّ نَقْطَةٍ غَابَةٌ لَا مَحْدُودَةَ مِنْ مَرَاقِصِ
الْأَسَاطِيرِ الْمُخْشَوَةِ
وَفِي كُلِّ ذَرَّةٍ مَهْرَجَانَا
وَفِي كُلِّ غُصْنٍ مُسَابِقَةٌ لِأَحْلَى الْأَعْرَاسِ
يَا تَوَّامَ الزَّمَانِ ،
أَيُّهَا أَهْلِيؤَلَى الَّتِي تَطَاوَلَهَا كُلُّ أَحَاسِيْسِي
يَا عَرُوسَ الزَّمَانِ الَّتِي لَا تَشِيخُ ، وَالَّتِي تُوَلِّدُ
مَعَ زَوْجِهَا ، فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
الَّذَهْشَةَ تَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهَا
كَيْفَ اكْتَسَى الْفَرَاغُ بِاللَّحْمِ ، بِالدِّمَاءِ ، بِالْعِظَامِ

مِنْ أَيِّ نَبْعٍ تَدْفَقُ النَّبْعُ
 آه، أَكَادُ أَتَقِيًّا ذَاتِي
 كَفَارٍ صَغِيرٍ تَبْتَلِعُهُ أَفْعَى الْوَقْتُ
 يَحْمِلُ الْعُرُوسَانَ: الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ فِي جَيْبِهِمَا،
 أَسْرَارَ الْبُخُورِ وَالنَّارِ
 وَأَسْرَارَ وَلَادَاتِ الْمَرْجِ اللَّامُتَنَاهِي
 لِأَنْفَاسِ الْعُنَاصِرِ
 وَعُقُولِ الذَّرَّاتِ الصُّغْرَى،
 الَّتِي تَحْمِلُ هُمُومَ الْعَقْلِ اللَّامُتَنَاهِي الْأَبْعَادِ
 يَا سَفِينَةَ الْفَضَاءِ الْأَرْضِيَّةِ،
 وَيَا سَرِيرَ الْأَحْلَامِ يَلْهَثُ وَرَاءَ النُّورِ،
 كَمَا تَلْهَثُ الْأَمْوَاجُ فَوْقَ أَنْامِلِ الْأَضْوَاءِ،
 خَلْفَ قُبُلِ النَّارِ،

شَكْلُ الْعُصْفُورِ يُكُونُ شَكْلَ الظِّلِّ
 وَالْفِكْرُ وَلَيْدٌ لِرَفِيفِ أَجْنَحَةِ الْأَشْيَاءِ
 لَكِنَّ أَيْنَ حَيْرَتِي يَزْدَادُ
 حِينَ أَجِدُ أَنَّ الثَّمَرَةَ النَّاطِقَةَ بِأَحْشَاءِ الْأَفُقِ ،
 هِيَ أَهَمُّ مِنْ شَجَرَةِ الْأَفُقِ
 يَا لِرَوْعَةِ الْعُرُوسِ

فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ مَسَامٍ جِلْدِهَا قَارَةٌ مِنْ أَسْرَارِ
 تَتَوَلَّدُ الْحَيَاةُ مِنْ صَهِيلِ النُّورِ ، فَوْقَ جِلْدِ أُمِّي
 يَا مِغْزَالَ النَّبْضِ ، أَيُّهَا الْأُمُّ الْحَبِيبَةُ
 يَا سَفِينَةً مِنْ طِينٍ وَحُبٍّ وَمَاءٍ

لَمْ أَخْتَرْتُ لِي الْوَعْيَ بِذَاتِي وَبِكَ
 وَلَمْ أَثَرْتُ ذَوْبَانَ ذَاتِي فِي تَمَثُّلِ الرَّبِيعِ
 أَتَسْلَقُ هَامَةً الْوُجُودِ بِخُطًى وَائِقَاتِ

ثُمَّ لَا أَلْبَثُ أَنْ أَتْرَاخَى ،
 كَحَبَّةِ قَمْحٍ بَيْنَ فَكَّيِ الْمِطْحَنَةِ الْأَبَدِيَّةِ .
 يَنْتَصِرُ طَلَاقُ أُذُنِي مِنْ حَنَاجِرِ أَطْفَالِي
 وَيَنْتَصِرُ طَلَاقُ عَيْنَيَّ
 وَيَنْتَصِرُ طَلَاقُ أَنْفَامِي مِنَ الذُّوْبَانِ ، مِنْ غَابَاتِ الْعَاجِ
 وَالرُّخَامِ الْمُهْلَلِ
 بِدُونِ اخْتِيَارِهِمَا عَيْنَايَ تَتَخَلَّيَانِ عَنْ رُؤْيَةِ الرَّايَةِ
 الزَّاجِفَةِ
 فَوْقَ خُبُولِ الْحَقِّ الْمُنْتَصِرَةِ لِثَنْدِي الْأَرْضِ الْمَشَاعِي
 هَلُمُّوا أَيُّهَا الْفُقَرَاءُ
 فَإِنَّهُ لَيْسَ هُلُّ عَلَيْكُمْ إِذْ خَالَ حَفَارُ الْقُبُورِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ
 لِأَنَّهُ اعْتَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ
 يَا رَجِمَ التُّرَابِ ، يَا أُمَّ نَبْضِي

يَا قُبْلَةَ النُّورِ لَيْبِضِ التُّرَابِ
تَأْمَلِي كَيْفَ أَنَّ أَخِي يُذِيبُ الْحُبَّ وَالْمُوسِيقَى
وَيُذِوِبُ عَظْمَةَ الْحَوَاسِ
ثُمَّ يَصُبُّهَا
لُقْمَةً فِي فُوهَاتِ الْمَدَافِعِ
تَصَوِّرِي يَا سَرِيرَ الْأَخْلَامِ
يَا أُمِّي

كَيْفَ يَتَرَفَّقُ هَدِيرُ الْمَدَافِعِ مَعَ صَرَخَاتِ الْوِلَادَاتِ
كَيْفَ يَتَوَاكَبُ ضَجِيجُ الْفُلُودِ مَعَ وِلَادَةِ الْأَنْبَاءِ
الْعَظِيمَةِ،

فِي شِفَاهِ الْمُخْتَبَرَاتِ
أَيُّهَا الْمَجَرَّاتُ الْمُتَكَدِّسَةُ
عَلِّمِي أَخِي

أَنَّ الْأَفْحُونَ يَكْفِيهَا دَنْ وَاحِدٌ مِنَ الْمَاءِ
وَأَنَّ الْمَخْدَةَ لَا تَسْتَوْعِبُ أَكْثَرَ مِنْ قَارُورَةٍ عَطْرِ فِي
الْيَوْمِ.

الْحُبُّ وَالْفَضِيلَةُ

عَلِمْتُ بِأَنِّي وُلِدْتُ، بِدُونِ اسْتِشَارَةٍ
وَأَنِّي أَمُوتُ، بِدُونِ اخْتِيَارِ
يَا لِثَوْرِي بَعْدَ مَخَاضِ الْإِحْبَاطِ
وَلَكِنْ، عَزَائِي بِأَنَّ الْوُجُودَ أَصْطَفَاكَ
قُبِيلَ اخْتِيَارِي
فَأَنْتِ نَوَاةُ الزَّمَانِ
وَأَنْتِ أَتَجَاهُ لِكُلِّ أَتَجَاهٍ
وَيُبْعَدُ لِابْعَادِ هَذَا الْوُجُودِ الْغَنِيَّ

وَحَدَّةُ الْكَوْنِ اسْتَقَامَتْ فِي عُيُونِ حَالِمَاتٍ
كَانَتْ الدُّنْيَا كَقَاضٍ ، دُونَ قَانُونٍ وَقَاعَةٍ
قَبْلَ أَنْ يُولَدَ عِشْقُ
تَحْبُلُ الْأَنْوَارُ بِالضُّوءِ فَيَقْتَاتُ الزَّمَانُ
يَبْدَأُ الْكَوْنُ لَدُنْ يُولَدُ حُبٌّ بِالْبَدَاهَةِ
عِنْدَمَا يُولَدُ حُبٌّ وَفَضِيلَةٌ
وَقَتَّهَا ، تُفْتَحُ أَبْوَابُ الزَّمَانِ
خِيَمَةُ السُّلْطَةِ تَحْلُو قُرْبَ خِيَمَاتِ الْفَضِيلَةِ
أُخْرِسُ السَّمْعَ وَأَبْصَارِي ، وَأَنْفِي يَسْتَقِيلُ
حُنْطَ اللَّمَسِ وَهَذِهِذَا مَذَاقِي
كَيْ أَرِيحَ النَّفْسَ مِنْ أَعْبَاءِ عِشْقِي يَتَلَوَّى
يَا غِلَافَ الْكَوْنِ ، يَا أَنْتِ ، إِلَى أَيْنَ هُرُوبِي؟
يَا غِلَافَ الثَّغْرِ الْبَاسِمِ

أُخْرَسَا كَانَ الْوُجُودُ
قَبْلَ أَنْ يُوَلَدَ نَطَقُ فِي الْعُيُونِ
تُوَلَدَ الثَّوْرَةُ مِنْ أَجْلِ شِفَاهِ رَاحِيَاتٍ، دُونَ نَطَقِ
يُوَلَدُ الْإِطْلَاقُ فِي ثَغْرِ فَضِيلَةٍ
مَا أَرْوَعَ حَبِيبَتِي حِينَما تُعَلِّمُنِي أَنَّ نِصْفَ شَبَعٍ
خَيْرٌ مِنْ شَبَعٍ وَجُوعٍ
فَالْأَرْضُ، وَكُلُّ نُجُومٍ الْكَوْنِ تَتَلَقَّى الْأَنْوَارَ مِنْ وَجْهِ
وَاحِدٍ

حَنْجَرَةُ الْبَلَابِلِ أَوْتَارُ رِيشتِهَا حَنْجَرَةُ حَبِيبَةٍ
وَيُقَالُ يَضِيعُ الْمَكَانُ
وَيُقَالُ يَضِيعُ الزَّمَانُ
يَبْدَأُ الزَّمَانُ بِطَرَفَةٍ لِحْظٍ جَمِيلٍ
وَجُودِكَ قُطْبُ

وَجُودُكَ يَا بُعْدَ الْأَبْعَادِ
تَحَوَّلَ لِنُورٍ أَحْدَبَ مُنْجَذِبِ
أَقْوَامُ الْقُرْحِ تَنْبُتُ فِي النَّدَى الْمُسَعِّ
يَتَكَوَّنُ أَفَقٌ قُرْجِيٌّ لَا مَحْدُودُ الْأَطْيَافِ
وَيَزْحَفُ، صَوْبَ النُّورِ، النُّورُ
يَا نَحَّاتَ الْعِطْرِ، وَيَا رَسَّامَ الصُّوْتِ، يَا أَنْتَ
يَا جِلْدَ الْحَيِّبَةِ،
الْقَشْعَرِيرَةُ الْخُلُوءُ
تَزْحَفُ فِي جِلْدِ الْكَوْنِ
أَتَخَيَّلُ أَنِّي بَحَّارٌ فِي نَهْرِ النَّيْلِ
أُمْدُ يَدِي لِقَمَةِ الْهَرَمِ الْأَكْبَرِ
تَقْصُ حَوْلِي «كَلْيُونَا تَرَا» (*)

(*) ملكة مصر (٥١ - ٣٠ ق.م). من سلالة البطالسة.

أَسْرَارَ الصَّخَرَاءِ

وَأَسْرَارُ الْغَابَاتِ تَتَكَدَّسُ فَوْقَ ضُلُوعِي

لَا تَلْمَنِي يَا أَمْرًا الْقَيْسِ ، إِذَا قَبِلْتُ جُدْرَانَ خِيَامِكَ

غَفَرْتُ لَكَ يَا أَيُّهَا الرَّبُّعُ الْخَالِي حَتَّى إِنْ كُنْتُ سَجَّانِي

أُحِبُّكَ أَكْثَرَ عِنْدَمَا تُصْبِحُ سَجَّانِي

يَنْهَزِمُ النَّوْمُ أَمَامَ صِرَاعِ الْقَلْقُ

وَتَدُوسُ آذَانِي أَقْدَامُ الصَّبَاحِ

تَكَادُ تُصَفِّينِي الْأَزْمَةَ

حَتَّى فِي أَوْقَاتِ الشُّغْلِ ، وَفِي أَوْقَاتِ الْقِيلُولَةِ

مَا أَرْوَعَنِي يَصْرَعُنِي الْحُبُّ

مَا أَجْمَلَنِي يَجْذِبُنِي عِشْقُ الْأَصْوَاتِ

إِزْمِيلُ الْحُبِّ يُحَوِّلُنِي وَشْماً أَخْضَرَ

وَشْماً فَرْجِيًّا فَوْقَ زُنُودِ الْمُحِبُّونَةِ

يَسْتَدْعِينِي الْبَحْرُ، كَيْ أَصْبَحَ أَشْرَعَةً وَرَدِيَّةً
كَيْ أَصْبَحَ زَوْرَقًا، سُفْنًا، تَحْمِلُ فَخَارَاتِ أَثَرِيَّةَ
أَزْرَعُ فِيهَا الزَّهْرَ، وَأَزْرَعُ فِيهَا أَعْشَاشَ الْكِنَارَاتِ
أَتَمَثَّلُ فِي طِينِ النَّسِيَّةِ وَالْمُطَلَقِ
سُفْنًا وَزَوْارِقَ تَحْمِلُ صَالَاتِ رُومَانِيَّةَ
وَمَسَارِحَ فَلَسَفَةِ شِعْرِ، أُسْطُورَاتِ يُونَانِيَّةَ
أَتَحْمِلُ أَنَّ شِرَاعِي يَحْمِلُ طَرْفَةَ لَحْظِ، غَمَزَةِ عَيْنِ، فِي
صَحْرَاءِ بَدْوِيَّةَ

وَأَظُنُّ بِأَنِّي جُرْحُ يَنْزِفُ فِي صَحْرَاءِ عَرَبِيَّةَ
أَتَحْمِلُ أَنِّي أَحْمِلُ مِيرَاثَ «أَبْنِ رَبِيعَةَ»، «أَبْنِ الْمُلُوحِ»
وَأَحْمِلُ بَسَمَاتِ السُّيُوفِ الْمُتَنَصِّرَةِ
فِي سَاحَاتِ الْخَيْرِ، وَفِي سَاحَاتِ الْمَثَلِ الْعُلُوبَةِ.

الْوَرْدَةُ الْخَضْرَاءُ

لَمْ تَعُودِي كُرْوِيَّةَ
يَا أَرْضُ، فَأَنْتَصِبِي سَوِيَّةَ
وَأَسْتَبْشِرِي،
ذَنْبِ الرِّيحِ الْمَوْسِمِيَّةِ
وَدَنَا قِطَافُ الرَّاسِ، رَأْسِ التَّابِعِيَّةِ
يَا أَرْضُ، فَأَنْتَصِبِي سَوِيَّةَ.
مَا عُدْتُ، يَا كُرْوِيَّةَ
كُرْوِيَّةَ،

فَبَسَطْتَ صَدْرَكَ لِلنَّهَارِ يَعْثُ أَرْجَاءَ الْبَرِيَّةِ
وَتَخَلَّتِ الْأَطْيَارُ عَنْ رِيشَاتِهَا لِتَطِيرَ مِنْ عِزَمٍ
بِلَا رِيشٍ ، عَلَى أَرْضِي وَفِي أَقْفِي
أَيَا أَرْضاً جَنُوبِيَّةً
مَا أَجْمَلَ الْعَرَبِيُّ يَحْمِلُ وَرْدَةَ خَضِرَاءَ ، يَا وَرْدَ
الرُّبُوعِ الْيَعْرَبِيَّةِ
مِنْ نَبْعِ «حِطَيْنِ» (*) تَرَوَى
مِنْ «عَيْنِ جَالُوتِ» (**) بَرَاعِمَهَا تُقَوِّى
تُحْمَى بِسَيْفِ الْقَادِسِيَّةِ (***)
يَا أَرْضُ ، فَأَنْتَصِبِي سَوِيَّةً
وَأَسْتَبْشِرِي ، دَنَتْ الرِّيحُ الْمُوسِمِيَّةُ .

-
- (*) حِطَيْنُ : قرية انتصر عندها صلاح الدين على الصليبيين
(**) عين جالوت : موضع انتصر فيه «بيبرس» على المغول
(***) القادسيَّة : موقع انتصر فيه المسلمون على الفرس

يَا قَلْبَ التَّاجِرِ

أَشْبَاكَ النُّوَيِّ الْفَاجِرُ
يَا فَاسَّ الْفَحَّامِ الْعَاهِرُ
يَا أَنْتَ، أَيَا قَلْبَ التَّاجِرِ
قَدْ عَامَ جَلِيدُكَ يَا بَحْرُ
يَحْمِي بِالذَّفَاءِ السُّمَّارَا
سُمَّارُ الْأَسْمَاكِ تَهَاجِرُ
فَتَعَلَّمْ، يَا قَلْبَ التَّاجِرِ
وَبُذُورُ الْغَابِ لَهَا جُنْحُ

يَحْمِلُهَا الرِّيحُ يُنْقَلُهَا
الْغَابُ مِنَ الْجَنَحِ تَكَاثُرُ
بَلْ كُنْ كَزُجَاجَاتِ الْمُجَهَرِ
فَالنُّورُ، مِنَ الرَّمْلِ، تَفَجَّرُ
فَتَعْلَمُ يَا رَبَّ الْمُتَجَرُّ
أَيْقَارُنُ فُولَازُ يَسْقِي الصَّحْرَاءَ
يُلَوِّنُهَا نَبْضًا أَخْضَرَ
مَعَ فُولَازٍ، جَشَعِ التُّجَارِ، وَيَسْتَكْبِرُ
تَتَنَفَّسُ رِثَةُ الْأَحْجَارِ
يَتَنَفَّسُ دَفْقُ الْأَنْهَارِ
فَالْمَاءُ يُوَشِّحُ بِبُخَارِ
وَيُلَفُّ الْمَرْجُ بِدِفْءٍ، فِي فَضْلِ الْبَرْدِ
الْعَطْفُ مِنَ الصَّخْرِ تَحَرَّرُ

فَتَعَلَّمْ ، يَا قَلْبَ التَّاجِرِ
دَرْبُ الْعُشَّاقِ يُجَمِّلُهُ حَجَرُ الْمَرْمَرِ
إِزْمِيلُ الصَّلْبِ يَفْتَحُ أَزْهَارَ الْمَرْمَرِ
كَالزُّنْبُقِ يَفْتَحُ جَفْنِيهِ النُّورُ الْبَاهِرُ
فَتَصَوِّرْ يَا قَلْبَ التَّاجِرِ .

عُرُوبَةُ لُبْنَانِ

سَادُقُ أَبْوَابِ الزَّمَانِ
وَأَصِيحُ وَضَاحِ أَلْبَيَانِ
أَرْزَاتُ لُبْنَانَ الْعُلَا
عَرَبِيَّةُ الدَّمِ وَاللِّسَانِ
جَبَلِيَّةُ بِشْمُوحِهَا
حَضَرِيَّةُ أَلِيدِ وَالْجَنَانِ
أُمِّيَّةُ بِشْمُوحِهَا
لَا، لَا تُهِنُ وَلَا تُهَانِ

قَدْ عَلَّمَتْهَا الشَّمْسُ كَيْفَ يُوزَعُ الْقَلْبُ الْحَنَانُ
 فَالشَّمْسُ تُرْسِلُ نُورَهَا يَنْسَابُ مُنْطَلِقَ الْعِنانِ
 لَا تَبْتَغِي ثَمَنًا لَهُ، مَعَ أَنَّهُ أَصْلُ الْكِيانِ
 وَطَنِي! بِلَا وَطَنِ أَنَا، فَالَّذَرَهُمُ الْوَطَنِيُّ فَإِنْ
 خُبِزِي يُقِيمُ بِالْأُورِوَيْ «النِّيوجَرْسي» (*) يُسْتَعَانُ
 وَحُكُومَةُ الظِّلِّ اسْتَكَانَتْ لِلْمَدَلَّةِ وَالْهَوَانِ
 جَعَلُوا الْوَدَائِعَ بِالْأُورِوَيْ وَشَيَّدُوا مِنْهُ الْجِنَانِ
 ثُمَّ اسْتَعَادُوا بِفَائِضِ رَبِّهِمْ، يَا لِلْهَوَانِ!!
 إِنَّ التَّمَلُّقَ، فِي بِلَادِي، صَارَ شُرْطِي الزَّمَانِ
 إِنَّ التَّرُّمَ فِي بِلَادِي، صَارَ سُلْطَانَ الْمَكَانِ
 يَا حَسْرَةَ الْأَوْطَانِ تُحَكِّمُ بِالتَّنَاوُبِ وَالرَّهَانَ
 الظُّلْمَ يَرَعَى أُمِّي، وَالْعَدْلُ فِيهَا لَا يُصَانُ

(*) بارجة حربية قامت بقصف مدينة بيروت ومواقع كثيرة في جبل لبنان.

يَا شَعْبُ، عُدْ لِلْعَدْلِ، إِنَّ الْعَدَلَ صُنْدُوقُ الضَّمَانِ
 عُوْدِي لِحُبِّ، ضَيْعَتِي؟ فَالْحُبُّ مِفْتَاحُ الْأَمَانِ
 إِنَّ فَاحَ عِطْرِ فِي الْجَنُوبِ تَنْشِقَتْهُ «كِسْرَوَانُ» (*)
 «بِيلُوسُ» (**) يَا «قَرَطَاجُ» (***) صِهْرُكِ،
 بَارِكِي هَذَا الْقِرَانَ
 وَأَتَى الْفِينِيقِيُّونَ مِنْ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ بِأَتِيْمَانِ
 أَنْ عَلِّمُوا الْكَوْنَ الْحُرُوفَ وَزَنُّوهُ بِاللَّبَّانِ (****)
 فَالْحَرْفُ نَائِي لِلشُّعُوبِ، بِهِ يُقَامُ الْمِهْرَجَانُ.

(*) قضاء في محافظة جبل لبنان، مركزه جونية.

(**) بيلوس: أقدم المدن الفينيقية، وتدعى حالياً «جبيل».

(***) مدينة فينيقية أسستها «ديدون» أخت «بغاليون»، ملك صور،

القرن التاسع قبل الميلاد، في تونس.

(****) اللبَّان: نبات من الفصيلة البخورية يفرز صمغاً، ويسمى الكُنْدُر.

قَلَقُ الْإِنْسَانِ

فَرَاشَةَ الْخَرِيرِ، يَامِغْطَاءُ

يَا كَرَمَ الْجُدُورِ

وَرَحْمَةَ الْمَدَائِقِ

يَا نِعْمَةَ الْمَدَاخِنِ

نَامِي عَلَى صَدْرِي

لِأَذْفَى وَجْهِ الْأَطْفَالِ

وَأَجِنَّةَ أَرْحَامِ النِّسْوَةِ

فَاخْتَضِنِي، يَا شَمْسُ، شِفَاهِي

فَأَنَا رَجِمُ الْإِنْسَانَ، سَرِيرَةٌ
فَأَنَا رَهْنٌ لِدِرَاعَيْكَ
أَتَلَوَّى فِي دِفءِ سَرِيرِكَ
فَأَنَا رَهْنٌ لَأَنَامِلِهَا
رَهْنٌ لِفِرَاشِ الْأَضْوَاءِ
قَبْلَنِي يَا ضَوْءُ، تَوَشَّحْ
وَجْهِي، وَتَوَشَّحْ أَنْفَاسِي
فَأَنَا أُمُّ أَعَزِّ الْخَلْقِ
وَلِأَجْمَلِ تَكْوِينِ صُورِ
لِأَوْلَدَ وَرْدَا زَهْرِيًّا
لِأَوْلَدَ زَهْرًا عِطْرِيًّا
لِنَحُوكَ حَنَاجِرَ أَطْيَارِ
تَقْتَاتُ بِدَمْعِ الشَّمْسِ الْأَحْمَرِ

إِذْ تَبْكِي حِينَ تُودُّعُنِي ،
 وَتُودِّعُ جُزْءاً مِنْ جَسَدِي
 قَبْلِي ، يَا ضَوْءُ ، تَمُدُّ
 لِنَعْمَرٍ أُولَى صَرَخَاتِ الْأَطْفَالِ تُسْقِي أُذُنِي
 لِنَعْمَرٍ سَاحَةَ مَدْرَسَةِ
 تَحْبَلُ بِضَجِيجِ الْأَطْفَالِ
 تَحْبَلُ بِالْعِلْمِ وَبِالرَّافَةِ
 قَبْلِي ، يَا ضَوْءُ ، تَوْشِّحُ
 دَعِ رَمْلِي يَسْقِي أَسْمَاءَ
 كُتِبَتْ بِأَنَامِلِ عُشَّاقِي السُّكْرَى
 عُشَّاقِ اللَّيْلِ ، السُّمَارِ
 قَبْلِي يَا ضَوْءُ ، وَقَبْلُ
 ذَرَّابِ الْكَوْنِ الْأَبَدِيَّةِ

عَقْلًا قَدْ مُلِثَتْ وَرَهَافَةً
 تَرْبَاءُ كَوَاكِبِنَا تَأَقَّتْ
 لِحَيَاةِ الْأَرْضِ الْبَشَرِيَّةِ
 يَا ضَوْءُ، زَرَعْتُكَ فِي خَشْبِي
 أَيَقُونَةَ صَدْرٍ وَرَدِيَّةِ
 كَمْ أَنِي، يَا شَمْسُ، شَقِيَّةِ
 قَدْ حَوَّلَ إِنِّي، الْإِنْسَانُ، الْأَنْوَارَ أَتُونَا مَجْنُونًا
 مَا حَاكَ الْأَنْوَارَ لِحَافًا
 بَلْ حَوَّلَهَا رُغْبًا أَسْوَدَ
 صَارُوحًا مَحْشُوءًا إِنَّمَا
 ذَنْبًا مَحْشُوءًا بِالذَّنْبِ
 يَمَلَأُ صَدْرِي
 يَمَلَأُ قَلْبِي

يَحْشُوا أَوْرِدَةَ الْأَبْنَاءِ الْوَاعِينَ

بِرُغْبِ نَوَوِي

يَحْشُوا أَوْرِدَتِي بِالْأَنْثَامِ

وَيَحْشُونِي رُغْباً أَبْلَهُ

لِأَتُونِ يَحْشَوْهَا رُغْباً

أَشْرَعُهُ السُّفْنِ أَلْهَمَجِيَّةُ

صَلَّتْ، سَجَدَتْ، وَدُخَانَ مَعَامِلِهِمْ صَلَّى

صَلَّتْ مَذْخَنَةَ مَعَامِلِهِمْ

لِدُخَانِ الْعَرَقِ الْمَحْرُوقِ

لِدُخَانِ الْعَضْلِ الْمَحْرُوقِ

فَدُخَانُ الْعَرَقِ الْمَحْرُوقِ

لَمْ يُشْبِعْ مَذْخَنَةَ الْمَعْمَلِ

لَنْ يُشْبِعَ شَبَقَ التُّجَارِ

تَتَهَدُّ شَمْسُ الْإِصْبَاحِ
تَتَهَدُّ شَمْسُ الْإِمْسَاءِ
قَالَتْ: «يَا ابْنِي الْإِنْسَانُ
شُعَاؤُ جُفُونِي غِذَاءٌ لِعَيْنَيْكَ
تَقْتَاتُ خُطَاكَ بِدَمْعِ جُفُونِي
بِنَبْضِ فُؤَادِي وَأُورْدَتِي
كُنْ كَالْإِنْبَاتِ مَشَاعِيًا
فَمُشَاعُ سِرِّ الْإِنْبَاتِ».

نَشِيدُ الطِّفْلِ

يَا مِغْزَالَ الْحَيَاةِ
هَائِجاً لِي ذِكْرِيَا
هُوَ مِغْزَالُ مِنَ الطِّينِ، وَمِنْ مَاءٍ مُنَمَّقٍ
يَا بُدُورَ الشُّوقِ وَالْإِنْبَاتِ يَذْفُقُ
سَابِحاً تَحْتَ الضُّبَابِ
تَحْتَ نَجْمَاتِ الْهَضَابِ
إِنَّ حُبِّي صِغَرَ مِنْ حُبِّ جُذُورِ اللَّتْرَابِ
مِنْ غِطَاءٍ نَامَ يَخْنُو فَوْقَ طِفْلِ

مِنْ قَمِيصٍ لَيْنٍ ضَمَّ وَلِيداً
إِنَّهُ أَرْجُوهُ النَّبْضِ بِشَرِيَانِ فُؤَادِي
إِنَّ هَذِي الْأَرْضَ قَلْبِي
وَمَدَى الْقُطْبَيْنِ، نَبْضُ التُّرْبِ، حُبِّي
وَشُعَاعُ الشَّمْسِ، قَلْبُ الشَّمْسِ، قَلْبِي
وَمَدَى الْأَفْقِ الْمُنْدَى الْلَّانِهَائِي ذِرَاعِي
يَخْضُنُ الْأَطْفَالَ كَالنُّورِ يُصَلِّي فَوْقَ زَهْرَةٍ.
وَحَيْنُ الدَّرْبِ، دَرْبُ الْعُمْرِ يَقْتَاتُ بِأَصْوَاتِ الصَّغَارِ
وَفُؤَادُ الْكَفِّ يَقْتَاتُ بِوَجَنَاتِ الصَّغَارِ
وَأَسْتَحَالَتْ لِشِفَاهِ الْأَمَلِ
ذَابَتْ الْأَمَلُ يَا جِلْدَ الصَّغَارِ
ذَابَتْ الْأَمَلُ فِي فُرْنِ النَّهَارِ
فَمِنْ الْكَوْنِ أَنَا أَنْقَى وَأَكْبَرُ

يُصْبِحُ الْكَوْنُ عَلَى كَفِّي كَأَعْشَاشٍ مِنَ الْمَاسِ بِهَا خُبْرُ

وَسُكْرُ

شَفَتِي خُبْرُ مُقَمَّرُ

مَسْمَعِي أَفَقُ مُعْطَرُ

وَصِيَا حُ الْطُّفْلِ فِيهِ نَحْلَةٌ تَزْهُو وَتَسْكُرُ

بَلْ وَأَحْيَانًا أَصْغَرُ

لُعْبَةٌ أَضْحِي بِكَفِّ الْطُّفْلِ أَوْ أَحْجَارَ مَرْمَرُ

بَيْدِ الْأَطْفَالِ أَرْهُو، أَتَلَوِّي، وَأُسْمَرُ

الْحَيَّالُ الْعَائِدُ مِنَ الْغَرْبِ

الرَّحْمَةُ تَسْتَجِدِّيهَا النَّعْجَةُ مِنْ سَكِينِ الْجَزَارِ
أَجْهَشُ بِكَاثِكَ يَا تَارِيخَ النَّبْضِ
الْحَيَّالُ الصَّخْرَاوِيُّ الْأَضْهَبُ جَاءَ
الْحَيَّالُ الصَّخْرَاوِيُّ الْأَضْهَبُ
ظِلُّ الظِّلِّ

لَا تَنْفُضْ، لَا تَنْفُضْ شَعْرَةَ
فَرِمَالِ الدَّرَجِ الْأَبْيَضِ غَطَّتْ رَأْسَهُ
وَمُحَدِّثُهُ كَانَتْ دَرَجُ الْبَيْتِ الْأَبْيَضِ

أَقْسَمْتُ بِأَنْ مِخْدَتَهُ الدَّرَجُ الْأَبْيَضُ
أَرْقَامُ جَوَازَاتِ الْخَيَالِ
تَغْتَسِلُ بِمَاءٍ «أَسْكُوتَلْنَدَا»
صَوْتُ الشَّيْطَانِ تَقْمَصُ إِزْمِيلاً قَلَمًا أَهْوَجُ
فِي جَنْبِ الْخَيَالِ الْأَضْهَبِ
إِزْمِيلاً يَخْفِرُ فِي صَخْرِ الْأَلَاغَايَاتِ
وَيُزْرِكُشُ صَخَرَ الْأَلَاغَايَاتِ
الْخَيَالِ الصَّخْرَاوِيِّ الْأَضْهَبِ
ظِلُّ الظِّلِّ، وَيُغَازِلُ ثَوْبَ الْوَطْنِيَّةِ
فِي «بَازِلِ» (*) تَشْتَعِلُ النَّارُ
النَّارُ إِلَهَةٌ هَذَا الْأَضْهَبِ

(*) بَازِلِ أُو بَال: مدينة شمالي سويسرا على الرِّين، عقد بها أول مؤتمر صهيوني.

طَبَعَ الْأَضْهَبَ، رَبَّاهُ، طَبَعَ النَّارِ
 يَقْتَلِعُ عُيُونَ فَضِيلَتِنَا
 صَوْتُ الْمَذْيَاعِ الْمَخْمُورِ
 «الْمَيْكُورُفُونُ» إِلَهٌ مِنْ تَمْرِ
 شَارِعُنَا عَادَ إِلَى مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ
 إِلَهَةُ التَّمْرِ تَقِيءُ بِسَاحَاتِ الْكَعْبَةِ
 وَلِحَافِكَ كُوفِيَّاتٌ يَا «خَيْرِ»
 وَعَصَاكَ، يَزِيدُ
 تُحَطِّمُ رَأْسَ فِلَسْطِينَ
 وَتُلَاعِبُ رَأْسَ «الْقُدْسِ» الْمَقْطُوعَةَ
 حَبَّاتُ الْمِسْبَحَةِ الرُّقْطَاءُ يَتَلَقَّفُهَا سِلْكُ أَحْمَرِ
 حَبَّاتُ الْمِسْبَحَةِ الْحَمْرَاءُ
 قَطَرَاتٌ مِنْ سَيْفِ أَهْوَجَ يَغْتَالُ أَمِيرَ الْفُقَرَاءِ

جَاءَ الْخَيَّالُ، أَيَا قَوْمِي
يَحْتُ ذَهَبِي فِي جَيْبِ الْخَيَّالِ، وَمَاسٌ عَجَلَاتُ الْعَرَبَةِ
فِي الْهُودَجِ أَوْرَاقُ سَوْدَاءٍ بِلَا أَحْرَفَ
كُتِبَ بِلَهَاءٍ بِلَا عُنوانَ
مَا صَافَحَتِ الْكُتُبُ السَّوْدَاءُ أَصَابِعَ «غَاغَارِينَ» (*)
الْجَهْلُ اخْتَالَ فَلَمْ يُرْسِلْ سُفْرَاءَ إِلَى دَارِ الْعِلْمِ
أَجْهَشُ بِبُكَائِكَ يَا تَارِيخَ النَّبْضِ
فَدُمُوعُ الْنَفْطِ تَسِيلُ عَلَى أَبْوَابِ «السَّلْفَادُورِ»
تَسْتَغْفِرُ شَعْبَ «السَّلْفَادُورِ»
يَبْكِي نَفْطُ الصَّحْرَاءِ
يَبْكِي الْحَرَكَةَ
قَدْ سَيَّتَهَا . . . قِيمَ الْحَرَكَةَ

(*) يوري غاغارين: (١٩٣٤ - ١٩٦٨) فضائي سوفياتي قام بأول رحلة فضائية في التاريخ، سنة ١٩٦١ م. قُتل في حادث انفجار طائرة.

أَتَصَفِّحُ تَارِيخَ الشَّرْقِ
 أَتَصَفِّحُهُ، مَعْكُوساً، تَارِيخَ الشَّرْقِ
 التَّابِلُ جَاءَ مِنَ الْغَرْبِ
 بَصَمَاتُ الْخَيَالِ أَفْتَقَدْتُ حَتَّى صِفَةَ الْوُكَلَاءِ
 لَيْسَ «التَّلْفَازُ» ثِيَاباً فَخَارِيَّةَ
 وَالْأَوْتَارُ الْمَخْمُورَةُ تَصْحَبُ
 وَدُمُوعُ «صَلَاحِ الدِّينِ» تَفُورُ مِنَ الْقَبْرِ
 وَالْأَنْهَارُ السُّودَاءُ تَصُبُّ بِأَقْيَانُوسِ الشَّمْسِ السُّودَاءِ
 تَعِبَ الْخَيَالُ مِنَ السَّفَرِ
 قَدْ ضَاجَعَ كُلُّ تَمَائِيلِ الْغَرْبِ
 أَنْهَكَ تِمْنَالُ الْحُرِّيَّةِ
 أَنْهَكَ لَيْلُ الْحُرِّيَّةِ.

الْجَلِيدُ يَهْرُبُ مِنَ الشَّمْسِ

عَالَمُنَا يَسْتَوِطِنُ الْكُهُوفُ

عَالَمُنَا غَابُ سُيُوفُ

وَعَابَةُ الْخَنَاجِرُ

يَا وَيْلَ سَلَاحِفِهِ،

إِنْ كَانَتْ مِنْ دُونِ الثَّوْبِ الْعَظِيمِ

عُنُقِي، لَنْ أَتْرُكَ عَارِيَةً فِي غَابَاتِ الْأَمَازُونِ

لِبَسِ الرِّيشِ ثِيَابَ الْعَاصِفَةِ

الظُّلْمَةُ تَلْبَسُ ثَوْبَ الرِّيحِ

يَتَوَلَّدُ، فِي قَلْبِ الْحَاسِبَةِ، ضَمِيرُ الْبُرْكَانِ الْأَهْوَجِ
وَبَاضَتِ الْأَرْقَامُ أَحْشَاءَ الْجَحِيمِ
وَيَحُومُ الْغُولُ الْمَاسِيُّ
وَيَعُومُ الْغُولُ الْفِضْيِيُّ
وَيَدِبُ الْغُولُ الْفُولَازِيُّ
فِي الْمَصْرِفِ قَالِبٌ مَخْلِبُهُ
وَسَرِيرُ الْغُولِ يَنَامُ بِأَحْضَانِ الْمَصْرِفِ
أَقْدَامُهُ ضَوْئِيَّةٌ
ذِرَاعُهُ ضَوْئِيَّةٌ
إِنْ شَاءَ حَوْلَ أَرْضَنَا قَدْرًا تَفُورُ
الْمَوْتُ فِي «أَفْرِيقِيَا» يُعَاقِبُ التَّارِيخُ
وَأَصْبَحَ الشَّقَاءُ جَلَادَ الزَّمَانِ
الْوَقْتُ أَضْحَى مَقْبَرَةً

مِنْ جُوعِهَا، دَنَبَ الشَّفَاهُ مِنَ الزَّوَالِ،
 وَغَارَتِ الْأَثْدَاءُ
 فِي «أَمْرِيكَ» اللَّاتِيئَةِ
 الْكَوْنُ بِطَاقَاتٍ دُخُولٍ قَدْ زَوَّرَهَا قَلْبُ الصَّرَافِ
 الْبَرَائِكِينَ مَزَارِعُ
 تَتَصَحَّرُ غَابُكَ «إَفْرِيقِيَا»
 يَتَصَحَّرُ خَدُكَ «أَمْرِيكَ» اللَّاتِيئَةِ
 تَتَصَحَّرُ غَابُكَ «إَفْرِيقِيَا»
 وَيُثَقِّبُ جَوْزُ الْهِنْدِ، وَيُرْتَشِفُ الْمَاءُ الْمَخْزُونُ
 يُمْتَصُّ النَّبْضُ مِنَ الْغَابَاتِ
 وَجَرَادُ الْغَرْبِ يُقَشِّرُ أَغْصَانَ الْوَرْدِ
 وَجَلِيدُ الْقُطَيْبِ يَجْمَعُ
 وَتَحْجَرُ خَدُّ الْعُشَاقِ

أَلْعِلَكَةُ بَاعَتْهَا نَبْتُوا بِشَوَارِعِ «لِيَا» * وَ «الْمَكْسِيكُ»
 أَلْسُونُو، فِي «الْبَرَاذِيلِ» تُهَجَّرُ
 وَيُحْفَلُ قَلْبُكَ يَا «نَيْسَانُ»
 وَجُفُونُ سَنَابِلِهَا تَرْتَاغُ مِنَ أَلْغُولِ
 فَتُكْسَرُ أَقْدَامُ الْأَعْيَادِ
 تُقَهِّقُهُ مَهْزَلَةُ التَّارِيخِ
 أَلْمَيْتُمُ يَرَعَاهُ التَّجَارُ
 قُلُوبُ الْمُرَايِنِ تَرْعَى أَلْيَتَامَى
 «مَكْنَمَارَةُ» (**) يَسْقِي بُسْتَانَ الْحُرِّيَّةِ
 وَ «أَبُو الْحِنَاءِ» مَشْغُولٌ بِظِلَّةِ
 وَبِالْوَانِ وَأَشْكَالِ وَأَحْجَامِ أَلْكَرَاسِي

(*) لييا: عاصمة جمهورية «بيرو» في أميركا الجنوبية.

(**) مكنمارة: مدير البنك الدولي، لدى إعداد هذه القصيدة.

فِي بِلَادِ الْعُرْبِ، مَشْغُولٌ بِظِلَّةِ
وَيَظُنُّ حُمْرَةَ صَدْرِهِ صُنْدُوقَ فُرْجِهِ
يَقْتَاتُ بِمِقْيَاسِ ظِلَالِهِ
وَيُسَوِّرُ، بِالظِّلِّ، الْأَوْطَانَ
وَيَظُنُّ بَأْنَ الصَّدْرِ الْأَحْمَرَ يَرْفَعُ هَامَاتِ الْجَبَلِ
فَالسَّاعَةُ فِي أَيْدِي الْأَعْمَى .

السُّلَمُ يَغْتَالُ الْحُقُوقَ

فِي «وَأَشْنَطُنْ»
قَصَدْتُ مُزَيْنَ شَعْرِ
وَحِينَ جَلَسْتُ، لِأَخْلِقَ شَعْرِي
أَشَرْتُ إِلَيْهِ، وَقُلْتُ تَعَجَّلْ
يُرْضِينِي أَنْ يَبْقَى رَأْسِي، فِي أَيْدِي الْغَيْرِ، لِأَقْصِرَ وَقْتُ
أَتَخَيَّلُ كَيْفَ تَكُونُ اللَّقْمَةُ، فِي أَيْدِي الْغَيْرِ
وَكَيْفَ تَكُونُ وَظَائِفُ قَوْمِ رَهِينَةِ تَاجِرٍ
هَلْ تُثْمِرُ أَشْجَارُ «الْمَانِحَةِ»، فِي جَوْ قُطَيْي بَارِدٍ؟
فِي «وَأَشْنَطُنْ»

مِنْ وَالِدَيْهِ، الْإِبْنُ يَتَنَاقُ الْقَبْلَ،
 مِنْ أَبْنَاهَا، الْأُمُّ تَتَنَاقُ الْقَبْلَ
 لَا تُلْهِهِمْ قَبْلُ الْأَطْفَالِ بِوَأَشْتَظُنْ
 فَأَلْفَنْدُقُ أَسْعَارُ الصَّرْفِ
 لَا تُلْهِهِمْ قُبْلَةُ طِفْلِ وَهُوَ يَنَامُ
 بِحَبَّةِ قَمْحٍ تَبِيعُ الْحَسَّاسِينَ رِيشَاتِهَا
 بِحَبَّةِ مَاسٍ تَبِيعُ الْحَسَّاسِينَ أَصْوَاتِهَا
 وَالسَّلْمُ يَغْتَالُ الْحَقُّوقُ
 وَالْحَقُّ وَالرَّشَاشُ تَوَآمَانُ
 لَا، لَيْسَ يُصَانُ الْحَقُّ، إِذَا قُطِعَ النَّيَّازُ
 لَا، لَا يُحْيِيكَ الصَّدِيقُ إِذَا رَأَاكَ وَلَمْ تَرَهُ
 لَا تَزْهَرُ أَشْجَارُ «الْمَانِجَةِ»
 فِي جَوْ قُطَيْبٍ بَارِدٍ.

ضِحْكُ الصَّغِيرُ

ضِحْكُ الصَّغِيرُ بِكُونِنَا،
فَتَعَمَّرَتْ مُدُنُ أَهْنَاءِ
نَبَعِ الشُّرُوقِ بِعَيْنِهِ أَلْـ
يُمْنَى، وَفِي الْيُسْرَى الْمَسَاءِ
خَدِرَ التُّرَابُ بِخَطْوِهِ
وَبِخَطْوِهِ أَزْدَهَرَ الرَّجَاءُ
يَا بَسْمَةَ الطُّفْلِ الْبَرِيِّ
ءِ، تُزِيلُ، عَنْ صَدْرِي، أَلْعَنَاءِ

هَذِي أَمَانِينَا فَأَشُدْ
عِزَّهَا شُمُوعاً أَوْ ضِيَاءً
كَتِفِي يُهْذِئُ خَدَّه
وَبِخَافِي سَكَنَ الْبَهَاءِ
كَالرَّمْلِ يَغْفُو فِي الشُّوَا
طِي ، عَاشِقاً أَحْضَانَ مَاءِ

بَرْقِيَّةٌ مِنْ «غَاغَارِين» إِلَى حَيِّ أَلْمَالِ

مَا أَجْمَلَ أَلْفَضَاءَ
مَعَابِرُ ضَوْءٍ بِلا مُتَتَهَى
أَتَخَيَّلُ وَجْهَ الْأَطْفَالِ
زُبْدَةَ «أَلْكَاتُو»، لَهَا قَلْبٌ وَعَيْنٌ وَحَنَاجِرُ
وَتُفَرِّخُ فِي خَدِّ الْأَطْفَالِ
صَاحَتْ رَائِحَةُ «أَلْفَانِيلِيَا»

(*) يوري غاغارين (١٩٣٤ - ١٩٦٨م) فضائيٌّ سوفياتيٌّ، قام بأول رحلة فضائية في التاريخ. قتل في حادث انفجار طائرة.

فِي نَفْسِ الْأَطْفَالِ ، وَسَاحَتْ ،
 كَفَّ الْأَطْفَالِ يَنَابِيعُ الزُّبْدَةِ ،
 يَنْبُوعُ «بَاكِمْبُودِر»
 مَا أَجْمَلَ الْفَضَاءَ
 مَعَابِرُ ضَوْءٍ ، بِلَا مُتَهَيَّ
 تَتَزَيَّنُ السَّمَاءُ بِالطُّيُورِ
 يَقْتَاتُ الْأَفُقُ بِحَنْجَرَةِ الْحُسُونِ
 أُذُنِي سَمِعُ
 لَمَسُ
 شَمُ
 عَيْنُ
 وَالْأُذُنُ تَذُوقُ وَتَسْكُرُ
 اِسْمَعْ يَا حَيَّ الْمَالُ

أُتَحَيَّلُ أَفْقًا لَا مَحْدُودًا
 وَمَسَامٌ أَلْبِيضَةِ يَنْبُوعاً
 يَسْقِي أَنْفَاسَ الْأَمْوَاجِ
 لِبَلَابِلٍ تَغْفُو فِي أَلْبِيضِهِ
 فَنِظَامُ شَاءَ لِعَيْنِي سِوَاراً مِنْ أَهْدَابِ
 وَنِظَامُ يَحْمِي النَّبْضَ بِسُورٍ مِنْ أَضْلَعِ
 يَعْرِفُ مَاذَا يُرِيدُ
 فِي «بَطْرَسْبُورَغ» (*) الشَّمْسُ تَوَزَّعَ قَبْضَاتِ الْبَارُودِ
 فِي سَاحَاتِ «أَلْبَاسْتِيل» (**)
 قَمَرُ الْفُقَرَاءِ يُلَامِسُ قَبْضَةَ سَيْفِ الْحَقِّ
 اِسْمَعْ يَا حَيَّ الْمَالُ

(*) عاصمة روسيا القديمة . اسمها الحديث لينينغراد .

(**) حصن في باريس كان معتقلاً للسجناء خاصةً للسجناء السياسيين .

خَرَبَهُ الشَّوَار فِي ١٤ تَمُوزِ عَامِ ١٧٨٩ م . وَمِنْ تِلْكَ السَّنَةِ أَرَخُوا عَهْدَ
الثَّوْرَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ .

غَابَاتُ الْبُومِ تُقَرِّحُ عَيْنَ الْقَانُونِ
 فِي «تُوكْيُو»، فِي «لَنْدَنْ» .
 فِي «وُولِ سْتْرِيت»
 وَيَدَاوِلُ التَّلْفَازُ لُغَبَ مَيْسِرٍ، فِي كُلِّ بَيْتٍ
 وَيَزَاجُهُمْ مَكْتَبَةُ الْأَطْفَالِ قُبَيْلَ النَّوْمِ
 وَسِبَاقُ الْخَيْلِ يُضَاجِعُ أَفْكَارَ الْفِتْيَةِ
 فِي مُحْكَمَةِ التَّلْفَازِ مُحَاكُ شَهَادَاتِ الزُّورِ
 وَشَهَادَةُ الزُّورِ الْقَبِيحَةُ تَصْفَعُ اللَّيْلَ الْمُنْدَى
 لَبْنُ الْأَطْفَالِ يُبَارِزُ أَلْفَ شَهَادَةِ زُورٍ
 يَا رِيْشَةَ كُفْرِ تَسْرِقُ كُحْلَ جُفُونِ اللَّيْلِ
 لُفَافَةٌ تَبْغِي تَكْذِبُ أُخْرَى
 كَأَنَّ الْحَيَاةَ لُفَافَةٌ تَبْغِي . . . زُجَاجَةٌ وَيَسْكِي
 يَهْزُلُ الْعِيدُ، وَكَعْكُ الْعِيدِ يَضْمُرُ

قَنَدِيلُ رَأْسِ الْعَامِ يَحْبُو
سَرَوَةُ الْمِيلَادِ تَصْغُرُ
وَتُكْسَرُ أَجْنَحَةُ الْمَوْسِيقَى الزَّهْرِيَّةِ
فِي عُرْفِ الْأَحْبَابِ
يَنْدَى، فِي اللَّيْلِ، جَيْنُ اللَّيْلِ
فِي الصُّبْحِ تُبَاعُ الْمَوْسِيقَى
فِي الْخَوَابِي، تُزْرَعُ الْغَصَاتُ، فِي ثَغْرِ النَّيِّدِ
يُخْنَقُ زَيْتُ الزَّيْتُونِ
وَجُذُورُ مَصَارِفِكُمْ، تَمْتَصُّ طَحِينَ الْكَعْكَ
تَمْتَصُّ نَبِيذَ خَوَابِينَا
تَمْتَصُّ النُّورَ الْغَافِي، فَوْقَ سَرِيرِ الْأَطْفَالِ
فِي آتَيْنِ الْيَاسِ حِينَ يُوزَّعُ حَوْلَ هُمُومِ الْمَوْقِدِ
تُسْقَى غُصَّه

اِسْمَعْ يَا حَيَّ الْمَالُ
 فِي «كَابِ كِنْدِي» .
 اَهْلَاتِفُ، سَمَاعَاتُ اَهْلَاتِفِ تَبْصُقُ
 لِأَنَّهَا فِي غَيْرِ غَايَتِهَا تُدَارُ
 اِسْمَعْ يَا حَيَّ الْمَالُ
 الشَّمْسُ تَذْبَحُ نَفْسَهَا
 كَيْ تَرْسُمَ اللَّوْحَ الْجَمِيلَ، لَدَى الْغُرُوبِ
 لَكِنَّ تِلْفَازَ التَّجَارَةِ يَصْفَعُ الشَّفَقَ الشَّهِيدَ
 اِسْمَعْ يَا «وُولِ سَتْرِيتْ»
 يَا نُجُومُ اَشْهَدِي
 يَا شُمُوسُ اَشْهَدِي
 يَا بَحَارُ اَشْهَدِي
 يَا أَفْقًا لَيْسَ لَهُ مِنْ حُدُودَ

إِشْهَدْ أَنَا نَتَحَدَّاهُمْ، فِي سَاحَاتِ الْفِكْرِ الْحُرِّ
 يَتَحَدَّى زَنْدُ الْفِكْرِ الْأَخْضَرِ فِي سَاحَاتِ الْحُرِّيَّةِ
 يَتَحَدَّى فَلَسَفَةَ الشَّرِكَاتِ عَلَى التَّلْفَازِ وَفِي الرَّادِیُّو
 وَبِرُغْمِ سَبَائِكَ مِنْ ذَهَبٍ تَتَكَدَّسُ فِي جَيْبِ الْبُطْلَانِ
 يُنْهَبُ التَّارِیْخُ فِي «أَلْهِنْدُ»
 وَفِي «هُونِغْ كُونِغ» يُسْتَهْوَى الْبَغَاءُ
 «طَاغُورُ» (*) مَنْهُوبٌ، وَ «كُونْفُشْيُوسُ» (**) مَضْلُوبٌ
 الْمَصِيرُ

بِلِقَاحِ النَّوْمِ يُلْقَحُ «لُورَنْسُ» (***) الصَّحْرَاءُ
 وَيُولَدُ مُهْرًا عَرَبِيًّا

(*) طاغور (١٨٦١ - ١٩٤١م) شاعر هندي، امتاز شعره بروح التدين والوطنية

(**) كونفوشيوس (نحو ٥٥١ - ٤٧٩ ق. م.) فيلسوف صيني.

(***) توما لورنس (١٨٨٨ - ١٩٣٥م.) سياسي إنكليزي وضابط مخبرات، اتصل بالأمير فيصل في حرب ١٩١٤.

فَتَصَادَقَ الصَّقْرُ مَعَ الْعُصْفُورِ
إِسْمَعْ يَا حَيَّ الْمَالُ
أَرْقُتُمْ نَهْرَ الْأَمَازُونِ
أَرْقُتُمْ نَهْرَ النَّيْلِ
أَتَخَيَّلُ أَفْقًا لَا مَحْدُودًا
وَجَدَاوِلَ السِّنَةِ الْأَفْكَارِ
وَجَدَاوِلَ السِّنَةِ الْعُلَمَاءِ
تَتَلَاقَى فِي وَتَرِ صَوْتِي
تَتَلَاقَى فِي بَحْرِ الْعِلْمِ الْأَلَمَحْدُودِ
فَلَا نِي أَنْشِدُ لِلْفُقَرَاءِ
نَجْمِي لِلْأَنْجَمِ بُوصْلَةً
لِأَنَّ الْكَوْنَ يُوَلِّدُ مِنْ جَدِيدِ
الَّلَوْنُ الْكَأَكِي أَصْبَحَ قَدِيسًا شَرِيرًا

حَتَّىٰ إِنْ كَانَ عَلَىٰ صَدْرِ الْأَحْبَابِ
إِنْ كَانَ عَلَىٰ صَدْرِ الْأَبْنَاءِ
إِنْ كَانَ عَلَىٰ صَدْرِ الْأَخَوَةِ
إِنْ كَانَ عَلَىٰ صَدْرِ الْأُمِّ
حَتَّىٰ إِنْ كَانَ كَشَالٍ يَغْفُو فِي خَصْرِ الْعُشَّاقِ
يَا «وُولِ سَتْرِيْتُ» .

أَتُحَاوِلُ نَصَبَ سُدُودٍ لِلشَّمْسِ ؟
أَتُحَاوِلُ نَصَبَ سُدُودٍ لِلْأَنْجُمِ ؟
وَتَفْتَحُ سُوقًا لِيَبْعَ الصَّبَاحُ
وَتَفْتَحُ سُوقًا لِيَبْعَ الْمَسَاءُ
أَتَحْمِلُ وَجْهَكَ «جِيفَارَا» يَدْخُلُ «هَافَانَا» مُتَّصِرًا
يَحْمِلُ رَشَاشًا أَخْضَرَ
يَلْبَسُ ثَوْبَ الْفَلَاحِينَ .

سُبُلَةٌ مَعَ قَلَمٍ مُعْتَصِرٍ
زَمَنَ التَّكْوِينِ، بِدَايَتِهِ وَنِهَائِهِ
وَنِهَايَةَ أَلَّا مُتَّهَى
«جِيفَارَا» يَحِلِدُ تِمَثَالِ الظُّلْمَةِ
يُصْبِحُ النَّقْدُ قُصَاصَاتٍ، خُرَافَاتٍ أَوَائِلُ.

شَفَتِي زَوْرُقَهَا

ظَلُّنَا فَاحَ، فَزَعَرِدُ يَا حَبِيبُ
وَأَنْشُرِ الشَّهْدَ عَلَى كُلِّ الدُّرُوبِ
يَا مُرُوجاً حَارَتِ الطَّيْرُ بِهَا
حَيْرَةَ الْعَاجِ عَلَى عُنُقِ الْحَبِيبِ
يُمْسِكُ الطِّفْلُ بِشَيْءٍ عِنْدَمَا
يَذْرُسُ الْمَشْيَ بِأَذْرَاجِ السُّهُوبِ
وَأَنَا الْمَسُورُ زَنْدًا حِينَمَا
أَصْحَبُ الْحَبَّ إِلَى وَادِي الطُّيُوبِ

يَا بِحَاراً مِنْ بَخُورٍ ذَائِبٍ
شَفَتِي زَوْرُقَهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ
هَبَطَ الدُّرُوي عَلَى أَكْتَافِنَا
تَرَكَ السَّرَّوَ وَأَنْسَامَ الْمَغِيبِ
سُلِّمَ النَّوْمَ رَنَا فِي زُنْدِهَا
خَمَرَ الْمَوَالَ فِي الْقَلْبِ السَّلِيبِ
عَلَّمَ النَّايَ لُثَيْغَاتِ الْهَوَى
عَلَّمَ الْجِلْدَ آرْتِعَاشَاتِ الدَّبِيبِ
هَلَّلَ اللَّمْسُ لِصُحُورِ الْمُنْحَنِ
وَأَسْتَفَاثَ الْخُلْدِ مِنْ وَهَجِ الْلَهْيِبِ
مُتَحَفَ الْأَزْمَانِ ، إِنِّي هَا هُنَا
عَلَّمَ السَّرَّ لِفَتْحِ الطَّرُوبِ
سَوَّرَ الْعَاجَ نُجُومِي وَهَمِي
أَخْضَرَ الضُّوءَ ، فَأَهْلًا بِالطَّبِيبِ .

النَّظَامُ الرَّأْسِمَالِيُّ

فِي النَّظَامِ الرَّأْسِمَالِيِّ يَنْظُرُ الْقَوْمُ لِمَا لَمْ
قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ قِيَسَتْ بِثِيَابٍ وَنَعَالٍ
قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ رِزْقُ عَكْسٍ مَا يُضْمِرُ بَالِي
فِي النَّظَامِ الرَّأْسِمَالِيِّ رَقْمُ الْإِجْرَامِ عَالٍ
«آدَمُ سَمِيثٌ*» دَعَانَا لِسَبَاقٍ وَسِجَالٍ
ثُمَّ أَوْصَى بِالتَّحَدِّيِّ بَيْنَ سَبْعٍ وَغَزَالٍ

(*) آدم سميث: (١٧٢٣ - ١٧٩٠ م.) من كبار المفكرين الاقتصاديين
البريطانيين. من دعاة الحرية الاقتصادية.

وَدَعَانَا لِجَنَاحٍ بَيْنَ عَقْلٍ وَخَبَالٍ
 هَلْ يُسَاوِي مَالِكَ «بَنكَأ» بَيْنَ جَبِيْهِ خَالٍ
 أَنَسَاوِي مَالِكَ التَّلْفَازِ، فِي دُنْيَا الْمَقَالِ،
 بِالَّذِي لَا يَمْلِكُ الْقِرْطَاسَ أَوْ حَقَّ السُّؤَالِ؟
 أَنَسَاوِي السَّيْفِ بِالصَّارُوخِ، فِي دُنْيَا الْقِتَالِ؟
 مَا وَرَائِيَّاتُ «مَآخٍ» سَعَرَتْ نَارَ الْجِدَالِ
 أَيُّهَا الْعَقْلُ تَبَصَّرْ وَتَدَبَّرْ أَمْرَ حَالِي
 قِيَمِ الْأَشْيَاءِ تَبَيَّنْهَا إِرَادَاتُ الْعِيَالِ
 هَلْ حِرَاكُ دُونَ شَيْءٍ، دُونَ ذَرَاتٍ تُوَالِي
 فِي أَهْيَؤَلَى وَالْخَلَائِيَا، خُلِقَ الْعَقْلُ الْمُبَالِي
 إِنِّي آمَنْتُ بِاللهِ الْعَظِيمِ الْمُتَعَالِي

* مآخ، أرنست (١٨٣٨ - ١٩١٦) فيلسوف وفيزيقي نمساوي، أنشأ نظرية تعرف بمبدأ الاقتصاد.

هُوَ فِي دَفْقِ أَهْلِيوَلَى مَالِئاً كُلَّ مَجَالٍ
وَحَوَاسُ الْمَرْءِ تَجْنِي كُلَّ فِكْرٍ وَخِيَالٍ
لَمْ تَقُمْ حَرْبُ ضَرُوسٍ أَبَداً إِلَّا لِمَالٍ
إِنَّ كُلَّ الشَّرِّ وَالْأَحْقَادِ فِي مُلْكِ الْغِلَالِ
وَصِرَاعِ السُّوقِ أَغْوَى، فَجَنَى كُلُّ وَبَالٍ

لَيْسَ مِنْ تَقْوَى وَمِنْ صِدْقٍ بِصَدْرِ الرَّأْسِمَالِي
لَيْسَ يُخْفِي الْجَارُ لِلْجَارِ سِوَى سَمِّ النَّصَالِ
لَا يَقُومُ الْحُبُّ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا بِنَوَالٍ
إِنَّ رُكْنَ الْحُبِّ نَفْعٌ، هُوَ فِي صُلْبِ الْوِصَالِ
إِنَّ ثَوْبَ الْعُرْسِ أَغْلَى مِنْ عُرُوسٍ وَخِصَالِ
وَهُوَ أَغْلَى مِنْ عُلُومٍ وَفُنُونٍ وَجَمَالِ
جُمَعَ الْقَوْمُ فَحَارُوا بَيْنَ هَزْلِ وَهَزَالِ
إِنَّ مَنْ صَمَّمَ زِيّاً سَادَ فِي رَوْضِ الدَّلَالِ

هُوَ «دِكْتَاتُورٌ» دُنْيَاً مَلَكَتْ كُلُّ عِقَالٍ
وَهُوَ «دِكْتَاتُورٌ» دُنْيَاً لَاعَبَتْ كُلُّ الْحِبَالِ
فَأَنَا حُرِّيَّتِي ضَاعَتْ إِذَا خَارَتْ سِلَالِي
أَيُّهَا الطَّاوُوسُ؛ مَهْلًا، فَعَدَا يَغْلُو نِضَالِي
أَيُّهَا التَّاجِرُ: مَا جُمِعَ مَالٌ مِنْ حَلَالٍ .

طِفْلٌ ضَائِعٌ

يَا نَاحِتاً قَلْبِي كَمَا يَخْتَارُ
كَالطَّيِّبِ يَأْسِرُ نَحْلَةً فَتُدَارُ
بِلَوْرَةِ الْقِنْدِيلِ يُفْرِحُ قَلْبُهَا
أَلَمْ أَحْرِيقِ أَتَتْ بِهِ الْأَنْوَارُ
نَفَرَ الْهَدِيلُ بِشَعْرِهَا وَشَفَاهَا
وَبَجِلْدِهَا قَدْ عَشَّشَ الْقَيْثَارُ

وَصَغِيرَتِي قَلْبٌ يَنْطُ مُجْنَحٌ
وَعَلَى الرِّصِيفِ مُدْلَعٌ مِغْطَارُ
رِثَّةُ الزَّمَانِ تَعَطَّرَتْ، وَإِرَادَتِي
طَوْعاً وَقَهْرًا، حَوْلَهَا تَنْهَارُ
وَأَنَا كَطِفْلٍ ضَائِعٍ قَدْ ظَنَّنَهَا
أُمًّا لَهُ؛ فَتَبَارَكَ الْمَشْوَارُ
وَتَنَفَّسَ الْعَاجُ الْحَبِيبُ بِبُرْدَةٍ
مِنْهُ، عَلَيْهِ تَنْحَنِي وَتَغَارُ
الْخُفُّ يَسْتَهْوِي، فَيَا دَرَجُ اسْتَقِمْ
الْحُبُّ صَلَّتْ حَوْلَهُ الْأَحْجَارُ

الفهرس

٥	الإهداء
٩	من أين، ومتى؟
١٧	الحب والفضيلة
٢٣	الوردة الخضراء
٢٥	يا قلب التاجر
٢٩	عروبة لبنان
٣٣	قلق الانسان
٣٩	نشيد الطفل
٤٣	الخيال العائد من الغرب
٤٩	الجليد يهرب من الشمس
٥٥	السلم يغتال الحقوق
٥٧	ضحك الصغير
٥٩	برقية من «غاغارين» إلى حي المال
٦٩	سفني زورقها
٧١	النظام الرأسمالي
٧٥	طفل ضائع

2.716
3325

СЕРГЕЙ АЛЕКСАНДРОВИЧ



0576864